مكافحة الإستعمار في أشعار الشاعر المغربي محمد عبدالرحمن الحلوي "ديوان أوراق الخريف نموذجاً"

Combating colonialism in the poetry of Mohammed Abdulrahman Al-Halawi (Diwan Ouragh Al-Khareef)

ط.د/ يمين ضيايي د. علي خضري
جامعة خليج فارس– بوشهر – ايران
alikhezri@pgu.ac.ir

تاريخ الارسال: 2019/12/02 تاريخ القبول:2020/02/02 تاريخ النشر: 2020/03/01

الملخّص

لقد كان الإستعمار منتشراً بصورة واسعة في فترة من الزمن ومع نهاية القرن التاسع عشر، كانت البلدان المستقلة حالياً والمعروفة ببلدان العالم الثالث في قارات آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، تحت سلطة الدول الغربية الإستعمارية بشكل مباشر أو غير مباشر. والمغرب لعبت دوراً هاماً في شمال القارة الأفريقية وذلك لمركزها الجغرافي والجذري في التاريخ، ولكن الدول الأوروبية قامت بالعدوان عليها في القرن التاسع عشر ومن هنا بدأت الجهود التدريجية في سبيل إستقلال البلاد. ومع هذه الأحداث، لم يرض الشاعر المغربي محمد عبد الرحمن الحلوي بالأوضاع الراهنة فتأثر بشدة ببيئته الفكرية وعطف أفكاره ومشاعره على القضايا الاجتماعية والسياسية وبرزها في اطار فني شعري.

سنقوم في هذا البحث بدراسة أشعار الشاعر المغربي وفقاً للمنهج الوصفي- التحليلي واستخلاص وتحليل أهم اتجاهات الشاعر حيال سياسات الظالمين. واستناداً إلى نتائج البحث، يعتبر محمد عبد الرحمن الحلوي أحد الشعراء السياسيين الاجتماعيين الذين انتقدوا المستعمرين بصراحة ووضوح في قصائده وتقدموا في سبيل التعديلات، وكذلك كانت أفكاره المناهضة للإستعمار بارزة في أشعاره. وتشير نتائج أخرى في هذا البحث إلى أن الشاعر يعتقد بأن الناس يلعبون دوراً رئيساً في الحرب ضد الإستعمار، وكذلك يساهم الأطفال في هذا النضال باعتبارهم دعامة المجتمع.

الكلمات الأساسية: الشعر العربي المعاصر،مكافحة الإستعمار، محمد عبدالرحمن الحلوي، ديوان«أوراق الخريف».

Abstract

Colonialism was widely spread over a period of time. By the end of the 19th century, the countries now independent of Third World countries in the continents of Asia, Africa and Latin America were under the direct or indirect control of Western colonial powers. Morocco has played an important role in the North African continent as it has its geographical and radical position in history, but the European countries aggressively attacked it in the 19th century. Hence, gradual efforts began in the country's independence. With these events, the Moroccan poet Mohamed Abdel-Rahman El-Halawi did not satisfy the current situation. He was deeply influenced by his intellectual environment and the sympathy of his thoughts and feelings on social and political issues and emerged within the framework of poetic art.

In this research we will study the poetry of the Moroccan poet according to the descriptive-analytical approach, and extract and analyze the poet's most important directions regarding the policies of the oppressors. According to the results of the research, Mohamed Abdel-Rahman El-Halawi is considered one of the social political poets who openly and explicitly criticized the colonists in his poems and made amendments. His anti-colonial ideas were also prominent in his poems. Other findings in this study indicate that the poet believes that people play a major role in the war against colonialism, and that children contribute to this struggle as the pillar of society.

Key-Words: Contemporary Arab Poetry, Combating Colonialism, Mohammed Abdulrahman Al-Halawi, Diwan ouragh al-khareef

1.المقدمة

في شمال أفريقيا، تقع منطقة على شكل مربع تمتد من الشمال إلى البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب إلى الصحراء، ومن الشرق إلى خليج سرت، ومن الغرب إلى المحيط الأطلسي تدعى المراكش أو المغرب البعيد وكان البربريون سكانها القدامى. «ما يميز المغرب من حيث موقعها الجغرافي عن سائر البلاد الغربية، والتي تحدد هويتها الخاصة، هو موقعها على الساحل الأطلسي. حسب اعتقاد الجغرافيين المسلمين، يمتد المغرب الأقصى في الماضي إلى مدينة أو منطقة تسمى نول أو نال، حيث تصل إلى ساحل أفريقيا شرقا. يعتقد المسلمون بأن هذه النقطة نهاية الحيوية من الجانب الغربي. وميزة جغرافية أخرى في المغرب هي اتساع جبال الأطلس في هذه الأرض بحيث تغطي الجبال والارتفاعات المؤدية إليها جزءًا كبيرًا من سطح المغرب العربي.»[1]

«بالطبع، وخلال تاريخ العاصمة ، كان التغيير دائمًا بين مدينتي فاس والمراكش. عندما أسس العلويون مدينة فاس عام ١٩٨١م في هذا البلد، وضعوها كعاصمة لحكمهم. في الفترة التالية، أي حكومة المرابطين أسست مدينة المراكش في العام 463 واعلنوها عاصمتهم، فتبعهم الموحدون، ولكن في عصر المرينيين في القرن السابع الميلادي، ومرة أخرى اختيرت الفاس عاصمة وبقت حتى القرن العاشر و تم نقل العاصمة مع بداية حكم بني وطاس، إلى المراكش.»[2]

أمّا «الشعر المغربي فله خصائصه الخاصة وينعكس في شروطه الثقافية والاجتماعية والفكرية والأدبية. على سبيل المثال الشعر في أواخر القرن التاسع عشر لم يكن على نهج أي عنصر من عناصر الفن ولا يتمتع باستقلال؛ بمعنى أنه كان الشعر مجرد وسيلة للتعبير وأمثلة عن العلوم الدينية واللغوية وغيرها، أو وسيلة لحفظ الأدلة النحوية والبلاغية والأمثال. استقل الشعر نسبيا بدايات قرن العشرين وكان التقدم الاجتماعي والسياسي والعلاقات القوية بين الشرق والغرب فعالا جدا في ازدهار الشعر في هذه الفترة. حتى دخل الشعر الوجداني في الأربعينات وتوجه بعض الشعراء إلى الاشعار الرومانسية وتطورت صناعة الطباعة وساعدت الصحف والعديد من المجلات، على النهضة الأدبية، فازدهر الشعر المغربي، سواء في الموضوع أو في شكل والعناصر»[3].

[1]. مونس، تاريخ وحضارة المغرب، ص31

[2] . العبادى، فى التاريخ المغرب والاندلس، ص11.

[3] http://www.habous.gov

للإستعمار مصطلح عربي ومعناه الدعوة إلى الحضارة والتوسع، لكن في مفهومه السائد و العام فهوعبارة عن «هيمنة سياسية وعسكرية وإقتصادية من جانب سلطة قوية على أراض أو أمة ضعيفة.»[1] «في الماضي،كان موضوع التبعية، من حيل البلدان الإستعمارية للسيطرة على البلدان الفقيرة في العالم. فالدول المستعمِرة كانت تعمل على تتبيع دول العالم الثالث بهدف إستغلال مواردها وثرواتها. فالتبعية تضمن مصالح الدول المستعمرة من جهة وتمنع تطور واستقلال المستعمرات على أمد طويل في نفس الوقت.»[2] إن المفهوم الحقيقي للإستعمار في عصرنا الراهن هو هيمنة القوى السياسية والصناعية العظيمة وإستيلاءها على الدول المحرومة، والتي نتاجها نهب هذه الدول وإمتصاص دمائها وفقدان مواردها الحيوية. الكلمة التي استخدمها القرآن الكريم في هذا المفهوم هي «الإستضعاف»، أى التضعيف بما تحمله الكلمة من معنى، كاضعاف الفكر والسياسة والإقتصاد وكل شيء كان. نستطيع القول أن مصطلح الإستعمار كان من أقدس الكلمات ولكنه تحول اليوم إلى كلمة تثير الإستياء. «يعتبر مصطلح الإمبيريالية مرادفا للإستعمار وفي عصرنا الحالي يستخدم بدلا عنه.»[3]

«يشتمل مفهوم الإمبيريالية على كل أنواع التوسع وتطور العملات الأجنبية وسلطة الأقوياء على الضعفاء. ولكنه ينطوي أيضا على مفهوم حديث وهو عبارة عن الخطط التوسعية للبلدان الغربية في أنحاء العالم على مدى القرون الأخيرة. ينسب هذا النوع من العمليات التوسيعية إلى تنمية ونضج الرأسمالية.»[4]

كانت أغلبية الدول العربية كالعراق ومصر والجزاير والمغرب وغيرها تحت سيطرة الحكومات الغربية على مدى التاريخ فهي كانت تحت لواء السلطة العثمانية قبل عقود وبعد ذلك خضعت لسيطرة بريطانيا وفرنسا. المغرب بلد في شمال غرب إفريقيا ولديها خط ساحلي ممتد مع المحيط الأطلسي يتصل شمالاً إلى جبل الطارق والبحر الأبيض المتوسط. «في عام 1912 م، و بعد إتفاقيات الجزيرة (1906م) ، إحتلت فرنسا جزءًا عظيماً من المغرب، وفي هذا العام، بدأت المناضلات ضد الهيمنة الفرنسية، بحيث نستطيع القول بأن الفوضى السياسية والاجتماعية والاقتصادية المهيمنة على العالم العربي نتاج لهذه الحرب ومطارداتها في القرون الأخيرة.»[5]

---

1. آشورى، الثقافة السياسية، ص15.
2. رحمانى، اثار الاستعمار، ص42.
3. مومسن ولفانج، نظريات الأمبيريالية، ص21.
4. مجداف، الإمبيريالية (امپرياليسم) تاريخ، نظريات، العالم الثالث، ص133.
5. موسى، الصلات التاريخية والثقافية بين ايران والمغرب، 27-32.

ساعدت هذه الفوضى الشعر السياسي والإجتماعي وأدّت إلى ظهور شعراء حاولوا استيقاظ الناس امام المغتصب الغاشم. كان محمد عبدالرحمن الحلوي ضمن هولاء الشعراء حيث قام بإفشاء جرائم الإستعمار بنظرته الثاقبة فهو لم يسكت حيال الفجائع في أرضه بل واصل نضاله ضد الإستعمار في شتى الظروف.

1-1- أسئلة البحث

نحن في هذا البحث بصدد الأجابة عن هذه الأسئلة:

1. ما هي أهم عناصر مكافحة الإستعمار في أشعار محمد عبدالرحمن الحلوي؟

2.ما هي النتائج التي سيحصل عليها مخاطبو الأدب السياسي جرّاء دراسة وتحليل أشعار الشاعر السياسية.

1-2- خلفية البحث

هنالک بحوث أجريت في مجال مكافحة الإستعمار نشير إليها: بحث بعنوان«مقارنة المناهج ضد الإستعمارية في تياري الشعر الكلاسيكي والمعاصر في العراق» للكاتبة معصومة نعمتي قزويني وآخرين طبعت في مجلة الأدب المقاوم عام2010م. قام المؤلفون فيه بدراسة أشعار ضد استعمارية لأربعة من الشعراء المجددين في العراق وتوصلوا إلى أن الأشعار الكلاسيكية أكثر صراحة ووضوحاً وأمّا عن الأشعار الحديثة فهي أكثر ميولاً إلى التلويح والكناية. وبحث آخر بعنوان «انعكاس الإستعمار في الشعر المعاصر بين الحربين العالميتين» للكاتبة منصورة زركوب، المنشور في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية في جامعة شيراز عام 2002 م، ويشير إلى دور بعض الشعراء العرب في فضح الإستعمار وخداع المستعمرين. وايضا نُشر بحث «الإستعمار في قصائد ملک الشعراء بهار وجميل صدقي الزهاوي» لمحمد صادق بصيري وراضية نورمحمدي ، المنشور في مجلة اللسان المبين عام 2011م. تشير نتائج هذه الدراسة إلى أن الظروف السياسية والاجتماعية والأدبية في كلا البلدين، تأثرت بأحداث مماثلة في العصر الراهن فتشابهات في السياسة والمجتمع تسببت في التشابه في الأفكار والموضوعات الأدبية.

1-3- أهداف البحث

الهدف من هذا البحث هو دراسة أشعار الشاعر المغربي وفقا للمنهج الوصفي-التحليلي وذلک عن طريق استخراج أهم اشعاره بالنسبة لسياسة الظالمين وتحليلها للكشف عن الزوايا الكامنة وراء أشعاره.

2- الادب المراكشي المعاصر

بدأ الأدب العربي في المغرب أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن العشرين، متاخرا بالنسبة إلى البلاد الشرقية بسبب ظروفه السياسية والاجتماعية، لأن المغرب تعرضت لاحتلال من دول كبريطانيا والبرتغال وإسبانيا والإمبراطورية العثمانية و ... وتوجهت جهود منتقدي البلاد الأدبية إلى الحرية والمحافظة على البلاد. «ويذكر عبد الكريم غلاب في مقالته عدة أسباب لتأخر المغرب عن الحركة الأدبية المعاصرة :

1. الظروف السياسية والاجتماعية جراء الاحتلال الاوروبي.

2.تأخّر هذا البلد عن استخدام صنعة الطباعة والتي كانت مصر وشام قد تعرفت عليها قبل اعوام مع دخول نابيليون بونابرت.

3.يعتبر التخلف الثقافي وخاصة التخلف التعليمي سببا آخر لتاجيل النهضة الأدبية.»[1]

وفي الوقت نفسه، بدأ الأدب المغربي المعاصر في عام 1930م بمساعدة عناصر كصحة اللغة العربية في البلاد والتي أدت إلى تقدمه السريع، وتعويضه جزئيا عن هذه المتأخرات، و «تبعيته من فرنسا وحماية إسبانيا منه سنحت الفرصة للمثقفين كي ينتجوا اعمالا مختلفة في شتى الموضوعات عبر هذه العلاقات وإنتاج الكتب والمعلومات التي حصلوا عليها من الدول العربية والغربية. خلال سنوات بين 1950م و 1960م كانت المغرب محور العديد من الكتاب كمحمد شكري وإدريس الشرايبي، محمد زفزاف وادريس الخوري، بينما كان لأمثال هؤلاء الكتاب وقع على ازدهار الشعر والمسرحية.»[2]

كان لاستقلال مصر عن الاستعمار الفرنسي تأثير عميق على الأدب المغربي، حيث قام بعض الباحثين بتقسيم الأدب المغربي المعاصر إلى فترة ما قبل الاستقلال وبعد الاستقلال، لكن أحمد الطريسي يعتقد بأنه على الرغم من التقدم الملحوظ للأدب المغربي المعاصر بعد الستينات، ولكن كل الدورات السابقة كان لها تأثير على هذا التقدم، وكان للشعر حركة مستمرة وله خمس مراحل أساسية:

1.مرحلة نهايات القرن التاسع عشر

2.مرحلة بدايات القرن العشرين

3.مرحلة الثلاثينيات في القرن العشرين

[1]. http://www.minculture.gov
[2]. https://ar.wikipedia.org

4.مرحلة الأربعينيات في القرن العشرين

5. المرحلة المعاصرة من الستينات حتى اليوم

والشعر المغربي له خصائصه الخاصة وفي أواخر القرن التاسع عشر لم يكن متعلقا بأي عنصر من عناصر الفن ولا يتمتع باستقلال بمعنى أنّ الشعر كان مجرد وسيلة للتعبير وأمثلة عن العلوم الدينية واللغوية وغيرها، أو وسيلة لحفظ الأدلة النحوية والبلاغية والأمثال. استقل الشعر نسبيا في بدايات القرن العشرين وكان للتقدم الاجتماعي والسياسي والعلاقات القوية بين الشرق والغرب دور بارز في ازدهار الشعر في هذه الفترة؛ حتى دخل الشعر الوجداني في الأربعينات وتوجه بعض الشعراء إلى الاشعار الرومانسية وتطورت صناعة الطباعة وساعدت الصحف والعديد من المجلات، على النهضة الأدبية، فازدهر الشعر المغربي، سواء في الموضوع وفي الشكل والعناصر.»[1]

3- نظرة عامة على سيرة محمد عبدالرحمن الحلوي

«محمد عبد الرحمن الحلوي شاعر مغربي ولد في فاس عام 1922. درس في جامعة القرويين وتخرج عام 1947. كان الحلوي أحد مؤسسي الحركة الأدبية ويعد من أبرز الشخصيات في بلده. علاوة على ذلك، لديه خبرة إبداعية طويلة تمثل ميراثا قويا ومصدرا ثقافيا منوعا يتشكل من مجموعة فكرية وسياسية وثقافية شتى.» [2]أسلوبه الشعري كان من أكثر الأساليب الشعرية تداولا في الشعر العربي، فهذه مهارة فنية تمكنه من التنويع في شعره عند الضرورة. «يعتبر محمد الحلوي في مجال الشعر أحد أبرز الشعراء المغاربة على المستوى الأدبي. فإنه على معرفة كاملة وواسعة بالنحو واللغة والأدب والبلاغة ورائد القصيدة العمودية في المغرب وأحد شعراء الحركة الأدبية في العالم العربي، بجانب الجواهري ورصافي وشوقي وغيرهم من الشعراء ومن أهم أعماله أنغام وأصداء (1965م)، ديوان الشموع (1988م) وديوان أوراق الخريف(1966م).»[3]

«كان محمد عبدالرحمن الحلوي من آخر الشعراء المعاصرين الذين حافظوا على الشعر القديم، في أسلوب أبي نواس، والمتنبّي، والبارودي وشوقي، وأصبح رائد الحركة الأدبية المعاصرة. تعتبر فاس، مسقط رأس الشاعر مدينة إنسانية، بمعنى أن المدينة تلبي جميع الاحتياجات الجسمية والعاطفية والروحية، وهي مصدر الفن الإسلامي. إنها واحدة من أكثر المدن الأصيلة والدينية في المغرب.»[4]

[1] http://www.habous.gov.
[2] .Www.ektab.com
[3] .www.ektab.com
[4] . ناصرى طاهرى، على ضفاف المضيق-تاريخ، ص48-43

«ولد الحلوي في مدينة العلم والتربية، ففي العقد الثاني من حياته، كتب الشعر بذوقه الشعري وقدراته اللغوية وحارب في شبابه السلفيين والانحرافات الدينية، ومن جهة أخرى، تسببت معاداة الاستعمار الفرنسي وبيان الحقائق والتعبير عنها بلسانه ولغة الشعر الصريحة، فسجن مرارًا وتعرّض للتعذيب.»[1]

4- مظاهر مكافحة الإستعمار في أشعار محمد عبدالرحمن الحلوي

يعتبر الشاعر المغربي محمد عبد الرحمن الحلوي، محاربة المستعمرين من أهم واجبات المسلمين في العالم، وبإعتقاده على جميع المسلمين أن يقاتلوا قدر المستطاع وأن يناضلوا المستعمرين إلى أقصى حد. يمكن تحليل روح ضد الإستعمارية في قصائد محمد عبد الرحمن الحلوي عبر نضاله وبيان ظلم المستعمرين وذمّهم والتطلع إلى الانتصار و... .

4-1- الدعوة إلى النضال

خلق الله الانسان بروح مناضلة. طبع الانسان يميل إلى العدالة ويتجنب التعدي على حقوق الآخرين. فمحمد عبدالرحمن الحلوي ناضل الإستعمار وحاربه طوال حياته وكان شاعرا حراً شجاعاً. فهو كان في السياسة أيضا ذو روح حساسة ويتمتع بصراحة التعبير والشجاعة ناهيك عن طباعه السامية وقلمه الصارم. يرى الشاعر الشفاء من هذا المرض، في المناضلة والاتحاد، فالسلاح برأيه هو الشعر فيصور النضال كالتالي:

وَلَكِنَّ قَومِي مَن صَرعُوا ... خُطُوبَ الزَّمانِ وَلَم يُصَرّعُوا
تَحَدَّى إباؤُهُمُو كُلَّ باغٍ ... وَعَزّ عَلَى الخَصمِ أن يَرَكَعُوا
سَيعرِفُ قَومِي طَرِيقَ الخَلاَصِ ... إذَا التَحَمَ الصَّفُّ وَاجتَمَعُوا[2]

يقول الحلوي إنّ شعبي غلبت الصعاب وازالت العقبات من طريقها ولم تخضع لها، الصعاب التي لم يتحملها الآخرون إستطاعت امتي ان تتعداها بسلام. يتذكر الشاعر اجداده حيث كانوا يرفعون علم الحرب في وجه الظلم ولم ينل منهم أي ظالم. يشير الشاعر في الشطر الثاني من البيت الثالث إلى دور الاتحاد والاخوة في نيل الأهداف ومحاربة المستعمرين؛ فباعتقاده النضال والانسجام هما نتيجة الاتحاد وفي رحاب هذا الاتحاد باستطاعتهم التغلب على فوج الأعداء.

[1] . www.ektab.com
[2]. الحلوى، ديوان اوراق الخريف، ص210.

عندما يسود الجور والظلم على المجتمع لايستطيع الشعراء والكتاب أن يسكتوا وهم شاهدون على الأحداث؛ لأن على عاتقهم واجباً يجب عليهم تأديته الا وهو محاربة الظلم والجور والإنحطاط. يبين الحلوي مناضلة الاطفال في هذه الابيات:

قَدرُ الطُّفُولة أن تُرِيقَ دِمَاء وَتُبارِزَ الاعدَاءَ فِي الميدَانِ

لَم تَلهُ فِي رَوضٍ وَلَا فِي مَلعَبٍ اوتَخلُ فِي يَومٍ مِنَ الأحزَانِ[1]

يتحدث محمد الحلوي عن نضال الأطفال راجزا بأنهم لن يستسلموا للعدو أبداً، كما لو أن الحرب والإستعمار كانا مصيرهم المحتوم، فبدل أن يكونوا سعداء ويلعبون، يجب أن يناضلوا في ساحات الحرب حتى آخر قطرة من دمهم وكأن الظلم والإستعمار هما من يحددان مصيرهم.

4-2- التعبير عن ظلم المستعمرين

كلمة «ظلم» قريبة من حيث المعنى والاصل إلى كلمة«ظلمة»؛ «لأن الظلمة ناتجة عن الظلم والاعتداء على حقوق الآخرين.»[2] اذا اعتبرنا امريكا وبريطانيا وفرنسا وباقي الدول الاستكبارية والغير شرعية اعلاما للظلم والهيمنة فسوف لن نعثر على دولة اسلامية لم تجرب شعارات ضد الظلم والجور. فلسطين والعراق وسوريا ومصر والمغرب تدخل ضمن الدول التي لم يخفق دوي احتجاجاتهم ابدا وحاول الشعراء بسلاحهم الروحي وأشعارهم ترغيب المناضلين وتشجيعهم على الحرب والنضال. يرسم محمد الحلوي أجواء الظلم بلحنه الحزين كالتالي:

أطفَالُنا هَدَفٌ لنِار رِصَاصِهم وَشُيُوخُنَا مَوءُودَةٌ تَحتَ الرُّكَام

أخشَى أزِيزَ رِصَاصِهِم جَحيمِهِم يشوى الجَمَاجِمَ[3]

ينسج الحلوي أبياته بحزن يغمر روحه ويتكلم عن قساوة قلب العدو؛ العدو الذي يسفك دماء الأطفال والمدنيين. يروي حكاية قلوب أطفال أصبحت هدفا لرصاص عدوان الظالمين، أطفال يحملون في صدورهم آلاف الخناجر السامّة. يتحدث الحلوي متأسفا ومتأثرا عن دفن أعلام بلاده تحت الأنقاض وهم أحياء ولاقبة لهم ولا مزار. يواصل الشاعر في بيته الثاني دون خوف أو أباء اطلاق أشعاره القارعة الملتهبة على الظلم والهيمنة مبيناً حجم الخوف والمتوسع باطرافه؛ خوفاً أصبح ملازماً

[1]. نفسه، ص67.
[2]. راغب، المفردات فى غريب القران.
[3]. الحلوى، ديوان اوراق الخريف، ص240-241.

وقتل الناس وسط لهيب النار ودوي القذائف. وأيضاً يقصّ قصة أبدان المناضلين وهي تتقطع أشلاء في ميدان النار وتحليقها إلى الآفاق.

لم يحصر الشاعر نفسه في موطنه بل يرى هذا الالتزام في وجوده وإجتماعه تجاه باقي الدول الاسلامية أيضاً ولم يغفل عن الظلم والاستبداد السائد في هذه الدول بل عكَسها في أشعاره. قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن أصبحَ ولَمْ يَهْتَمَّ بأمورِ المسلمينَ فَلَيسَ بمُسلِمٍ.»[1] الحكومة المستبدة في المغرب وأجواؤها الخفقانية كان حافزاً لمحمد الحلوي لبيان ما يحصل من جور وإستبداد في هذا البلد؛ أبيات تنم عن مدى عظمة غضب وإستياء الشاعر من حكامه:

يقول الحلوي قَد انطَفَا النُّورُ فِي أبهَائِهِ وَبَكَى غُرَابُ بَينٍ عَلى إيوَانِهِ الخَرِبِ
مُصَابُ مِصرَ إذَا عُدَّت بِمِثلِهِ لَم تُصَب يَوماً وَلَم تُنَبِ [2]

في هذه الأبيات أن حكماء الجور ذهبوا بجمال ورونق مصر واليوم لاترى أثراً من روعة الربيع هناک ولا أثراً للعزة والجبروت التى صادرها الحكماء وترى غراب الاستكبار جالساً على خرابها. يتطرق الحلوي في البيت الثاني إلى المصائب التي حلت بهذا البلد على أيدي المستعمرين ويروى مدى غضبه بقوله إنّ مصر لم تشهد بتاريخها مثل هذه الأيام العصيبة.

4-3- حب الوطن

مزج الله فطرة الناس بحب الوطن وفرح قلوبهم بمواطنهم وأحببهم في أرضهم وترابهم. «يعتبر حب الوطن من الموضوعات الرئيسية في أشعار المعاصرين خاصة في أشعار شعراء قد احترقت بلادهم في لهيب الحروب والإستعمار. أدى هذا الحافز إلى تحميس الناس من قِبل الشعراء في الدفاع عن أوطانهم.»[3] «كانت الوطنية جزءًا من الهوية الوطنية في الشعر المعاصر. تظهر الأشعار الوطنية عندما يتم التشكيك في كرامة الوطن أو يتعرض البلد للخطر.»[4]

يستخدم الحلوي في نضاله ضد المستعمرين والغرباء آلية الا وهي علمه وقلمه لبيان مشاعره الوطنية وابراز الكراهية لهم؛ فقلمه وعمله كانا بمثابة طعنة خنجر على قلوب الحاقدين وختام شؤم لوجودهم:

[1]. كليني، كافى، ص 163.
[2]. الحلوى، ديوان اوراق الخريف، ص266.
[3] . مسبوق و الزملاء، حب الوطن في شعر ملک الشّعراء بهار و جميل صدقى الزهاوي، ص132.
[4]. ناصيف، أروع ما قيل فى الوطنيات، ص90.

مَهـدُ الـتُرَاثِ وَمهـدُ الفِكـرِ فِـى ما كـانَ يَصـطَنِعُ الأمجَـادَ لَـولاكِ
وقَلعَةٌ صَـمَدَت فِى كُـلّ مَلحَمَةٍ قَد ذَاقَ عَلقمهَا مَن كَانَ عَادَاكِ[1]

يعتبر محمد عبدالرحمن الحلوي موطنه داراً للثقافة والفكر ويدافع عنه بأحسن وجه. ما يشد الإنتباه في هذا الموضوع هو أن الحلوي يفتخر دائماً وأبداً بوطنه ويعتز به ويروي هذا الفخر للناس أيضاً. فهو يشبه وطنه في تشبيه ملموس إلى قلعة صامدة وقفت وقاومت هجوم الأعداء بحيث لن و لم يسلم أحد بعد الهجوم عليها.

ليس الحلوي مجرد شاعر وطني فحسب، فهو شاعر فتح منبره الشعري مراراً وتكراراً للشعب العربي وجعله يدرك الاختلافات وتأثيرها السلبي على ثقافة مستقبل هذا الشعب. وهو يتذكر الماضي العربي العريق والمشهور، ويتذكر اليوم الذي حكم فيه العرب العالم في محاولة لإحياء شجاعتهم. حزن الحلوي لأن العرب نسوا حقيقتهم وأصبحوا مقلدي الغرب، فكان أحياناً ينتقدهم في أشعاره. وبهذه الطريقة، يعبر الشاعر المغربي دائمًا عن مفهوم العرق، ويطلب منهم أن يضعوا الخلافات جانباً ويتصدوا لأعداء الإسلام.

كانت قضية فلسطين على رأس أشعار شعراء العرب، و عبّر شعراءهم في قصائدهم عنها، وكرّروا حق هذه الأمة المضطهدة؛ يخاطب الحلوي في قصيدة المطهر مسلمي فلسطين في القدس ويعتبرهم أحد أبناء شعبه ورفاقه ويخبرهم أنه يجب أن يصمدوا ويحاربوا الأعداء ويجب أن يقاوموا بالروح والثروة في سبيل لتحرير البلاد:

يا أهلنَـا فِي القُـدسِ يا مَـن شَـيَّدوا بِـدِمَائِهِم مـا لَم يُشـيِد بَانِـى
قَـدرُ الطُّفولَـة أن تُريـقَ دِماءَهـا وتبـارِزَ الأَعـدَاءَ في الميـدَانِ...
يكفيكمـو في التضـحيات سـخاؤكم بالـروح والامـوال والأبـدان
كـانَ مَـن فِي الأرضِ يَعبُـدُ أرضَـهُ كنـتم بِهـا مـن عابِـدى الأَوطـانِ[2]

ولم ينس ما يحصل في لبنان ويعتني بلبنان بروح الأخاء مع سائر البلدان الاسلامية، ويأسف لمجدها الرائع وجمالها ومعاناتها الآن من صعاب:

لُبنـان! يا فِردوسَـنَا الثّـانِى يا درةً فِـى مَفـرِقِ الأوطَـانِ
واحَـاتُ أرزِكُ جَنَّـةٌ أشـذاؤهَا تَسـرى مَـعَ الأنسَـام مِـن
كيفَ استَحالَ الحُبُّ فِى جَنَّاتِهَا حَـرباً تُـدمّرُ شـامِخُ البُنيـانِ؟

[1]. الحلوى، ديوان اوراق الخريف، ص134.
[2] . الحلوى، ديوان اوراق الخريف، ص67

أضحَت مَؤنَّسَةُ الحَزينُ مَدينَةٌ مَسكونَةٍ بِالمَوتِ والأحزانِ[1]

4-4- هجو المستعمرين

يعتبر الهجو أحد الموضوعات الشعرية منذ القِدم. «الهجو في المصطلحات الأدبية نوع من الشعر الغنائي يركز على النقد اللاذع والمؤلم.»[2] «تواجه الدول المستعمِرة غالباً الهجو وأنواع النقائض والعيوب وذلک لما تسوده من ظلم وعدوان على عامة الناس ووضعهم في ظروف قاسية وعصيبة.»[3] بامكان الهجو أن يكون من الموضوعات التي تخدم الوطن وتساعد الشاعر في التعبير عن مقصوده وفي الدفاع عن الوطن وحب الوطن. يتمتع الهجو في اشعار الحلوي بشفافية ووضوح حيث أغلب هجوياته سياسية وتطعن المستعمرين والمستبدين:

وَظنُّوا قَهرَ أمَّتِنَا مُراداً يَسِيراً لا يُجَشمُهُم عَناءَ
تَحَدّينَا وَمَا زَالَ التَّحدِّي لَنا خُلُقاً لِمَن أبدَى العَداءَ [4]

يتطرق الحلوي بقلمه وعلمه إلى أدق حيل الهجو لإزدراء العدو ويهجو أهداف العدو المستعمر القذرة في الإستيلاء على الشعب وذلک بصوت المناضلين المصرين على نضالهم، منادين نداء الإستقلال والحرية. الشاعر يروى حكاية نضال رجال الدولة ضمن هجوه المستعمرين في دسائسهم للشعب. لم يجلس محمد الحلوي جانبا، فكان شخصا نشيطا في مختلف المجالات الاجتماعية، ومن الواضح أنه كان واعياً بمشاكل المجتمع ويظهرها في قصائده. فهو يعاني من عدم الاستقلال، واضطهاد بعض القادة، والعنصرية وكل أنواع الفساد فيحاول تعديل المجتمع. يرى الحلوي فسادًا أخلاقيًا والحط من قيمة الانسانية في المجتمع وفيمنعها ويدعو شعبه دائمًا إلى اتباع مبادئ الإسلام وأن يكونوا مسؤولين أمام الآخرين.

يشكو الحلوي من النظام الحاكم ويشعر بالقلق حيال شعبه الذي يقتل بيد هذا النظام ويريد أن يستسلم الناس له، فيعرب عن تساؤلاته كالتالي:

ماذا سَنَذكُرُ عَن نِظام راحِل أشباحُهُ الشُّوهاءُ تُوحِشُ
أبناؤه صَرعَى الضَلالة والهَوَى ما بين ضائعه به ومضيّع
ماذا سَنَذكُرُ عَن نظام بائِد قَهَر الشُّعوبَ لأنها لم تَرَكَع![5]

[1] . الحلوى، ديوان اوراق الخريف، ص218-217.
[2]. نيكوبخت، الهجو في الشعرالفارسى، ص28.
[3]. المعوش، شعر السجون فى الأدب العربى الحديث و المعاصر، ص559.
[4]. الحلوى، ديوان اوراق الخريف، ص 161.
[5] . الحلوى، ديوان اوراق الخريف، ص295

إذن يدرك الشاعر الاستعمار الغربي وسلب حقوق الأمم، ويحزن من كل هذه الدماء والحداد والحزن فيهجوهم ويهجو النظام الحاكم الذي لا استقلال له بل هم مطيعون تحت سيطرة الاستعمار فيبحث عن أنصار السلام والصداقة آملاً إطفاء نار هذه الحروب التي اشتعلها الاستعمار.

النتائج

1.حارب محمد عبدالرحمن الحلوي، هذا الشاعر الاجتماعي الملتزم بأشعاره المستعمرين وخالف أهدافهم.

2.أهم المؤلفات ضدالإستعمارية في أشعار الحلوي عبارة عن: روح النضال، إفشاء ظلم وعدوان المستعمرين، حب الوطن، هجو المستعمرين، والأمل في النصر.

3. يذمّ محمد الحلوي المستعمرين بلهجة صريحة خلال أشعاره وخطى نوعا ما في سبيل تعديل مجتمعه وخدمتها ولم يقصر في هذا الأمر من جهد. فلتوجهاته ضد الإستعمارية بروز واضح في أشعاره فتَرى آثار مكافحة الإستعمار في أشعاره الملتزمة منها والسياسية والأجتماعية.

4.يعتقد الشاعر بأن للناس الدور الأهم في مكافحة الإستعمار لأن حضورهم المثمر يدل على إصرارهم على تغيير مصيرهم فلذا يدعو الشاعر الشعب للجهاد والتضحية. من جهة اخرى يرى الشاعر أن للأطفال كركن من أركان المجتمع دور مهم في هذا النضال ولربما يكونون أشد اشتياقا من آبائهم للجهاد.

5.يتمتع الحلوي ببيان صريح وشجاع في فضح حكام الجور والاستبداد وهذا ما يدخله ضمن مجموعة شعراء الحرية ومناضلي الظلم.

6.تحيي أشعار محمد الحلوي روح الحمية والهمة وحب الوطن في نفوس الشعب فهي إنعكاس لآلام الأرض وشعوبها المتألمة.

المصادر

1. آشوري، داريوش (1980). **ثقافة السياسة (فرهنگ سياسى)**، طهران: مروايد.

2. بالتا، پل (1990م). **المغرب العظيمة من الاستقلال حتى عام 2000م (مغرب بزرگ از استقلال تا سال 2000)**، ترجمة عباس آگاهى، ط1، مكتب الدراسات السياسية، الدولية: طهران1990م.

3. الحلوي. محمد عبدالرحمن (1982م)، **حديث القمر**، ط 2. دار الكتاب االعربى: بيروت. 1982م

4. راغب اصفهانی، حسین بن محمّد (1412ق). **المفردات فی غریب القرآن، بإهتمام صفوان عدنان داوودي**، دمشق، دارالقلم/ الدار الشامية.

5. رحماني، زهره (2014).**آثار الإستعمار(ردّپای إستعمار)**، طهران: انديشكده برهان.

6. سنجری، محمّد رضا (2010م).**أدب الدفاع المقدس (ادبیات دفاع مقدّس)(موضوعات، نظریات، معرفة اجمإلية بأنواع الأدب)**، طهران: موسسة حفظ آثار و نشر ارزش های دفاع مقدّس.

7. العبادي، احمد. **فی تاریخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية: بيروت. دون تاريخ.

8. كليني، محمّد بن يعقوب بن اسحاق (1407ق)، **الكافی(ط– الاسلامية)**، ط4. طهران: دارالكتب الاسلامية

9. مومسن، ولفانج (1985م).**نظريات الأمبيريالية (تئوريهای امپرياليسم)**، ترجمة كورش زعيم، طهران: اميركبير.

10. مونس، حسین (2013م) **تاریخ وحضارة المغرب (تاریخ و تمدن مغرب)**، ترجمة حميد رضا شيخي. ط 1. طهران. 2013م

11. مجداف، هاري (1991م).**الإمبيريالية (امپرياليسم) تاريخ، نظريات، العالم الثالث**، ترجمة هوشنج مقتدر، طهران: كوير.

12. مسبوق، سيّد مهدي و زماني، شهلا و عزيزي، علي (2011م). **حب الوطن في شعر ملک الشّعراء بهار و جميل صدقی الزهاوي**، مجلة النقد والأدب المقارن الفصلية، عدد2، ص131-158.

13. المعوش، سالم (2000م). **شعر السجون فی الأدب العربی الحديث و المعاصر**، الطبعة الاولى، بيروت– لبنان، دارالنهضة العربية.

14. موسى، احمد (2000م).**الصلات التاريخية والثقافية بين ايران والمغرب (پيوندهای تاريخی و فرهنگي ايران و مغرب)**، مجلة نامه بارسي، ص 27-32.

15. ناصيف، إميل (1992م). **أروع ما قيل فی الوطنيات**، ط1، بيروت: دار الجيل.

16. ناصري طاهري. عبدالله. **(علی ضفاف المضيق–تاريخ) بر ساحل تنگه (تاريخ)**، مجلة كلمة. العدد 3 . صص (48-43).

17. نيكوبخت، ناصر (2001م). **الهجو في الشعرالفارسی**، ط1، طهران، جامعة طهران وجامعة كاشان

المواقع الالكترونية

http://www.minculture.gov.ma/index.php

https://ar.wikipedia.org/wiki/

http://www.habous.gov

http://www.ektab.com